(نور المثاني) تحاول القضاء على ظاهرة التدخل في شؤون الآخرين:

انشغال المرء بنفسه وبما يعنيه فيه حفظ للوقت وإشاعة لروح الجدية

التـدخل في شـــؤون الآخـريــن سلــوك غيــر حضاري

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه حديث أرشدنا إليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو الطريق الذي يبلغ به العبد كمال دينه وحسن إسلامه وصلاح عمله، فلا شك أن ما يزيد المرء حسنًا أن يدع ما لا يعنيه ولا يفيده في أمر دنياه وآخرته، لكن للأسف في كل مجتمع من المجتمعات يوجد أشخاص يعانون من عادة سيئة جدًا هي التدخل في شؤون الآخرين للإفساد أو تناول خصوصيات الناس بصورة تضر بهم، لنتعرف على حقيقة هذه العادة السيئة وهل هي مرض نفسي؟ أم نقص في الإيمان؟ أم ماذا؟ قمنا بإجراء هذا التحقيق محاولة للقضاء على هذه الظاهرة السيئة في مجتمعنا المسلم.

أجرته :أ.نهى حامد عبد الرحمن

● د. أحمد الطيب أحمد

● د. أسامة أحمد حسن

● **يقول الدكتور احمد الطيب احمد محمد – منسق البرامج العامة بمركز التنمية المهنية وضمان النوعية –**

ورد «التطفل عند العرب وأصله في الجاهلية أن يكون الإنسان في كل بيت سواء دعوه أم لم يدعوه دون أن يشغله شاغل يؤخره عن الحضور. وقد ألف ابن الجوزي في الطفيليين كتابًا وألف فيهم الخطابي صاحب كتاب العزلة وغيرهما من العلماء.

ويمكن أن ندرج التطفل تحت طائفة الأمراض النفسية العصبية، فالمتطفل مريض نفسي وتظهر عليه جملة من الأعراض فحواسه دائمًا غير هادئة ونظراته متحفزة وغير مستقرة وغير محتشمة وغير أمينة وقد تكون مكشوفة يلاحظها غيره، وكذلك مسامعه مرهفة وموجهة كالهوائي لالتقاط أي حديث بين اثنين ! كما أن قدميه تكونان غير مستقرتين فهو يجول هنا وهناك ويسأل أو يستمع أو يحشر نفسه بطريقة غير لائقة وسط أحاديث لم يدع لها وقد يتدخل في علاقات ليس من حقه أن يعرفها وربما كانت علاقات عائلية في منتهى السرية بين أب وأبنائه أو علاقات بين زوج وزوجته أو علاقات بين صديقين أو أسرار خاصة بالعمل لا يجوز إفشاؤها والمحير فعلاً أن المتطفل لن يستفيد من هذا كله شيئًا ولا شك أنه لن يستطيع الاحتفاظ بسرية ما يسمع بل سيذيعه في الناس بكل وسيلة ممكنة .وهناك نوع آخر من أنواع التطفل وهو التطفل المعنوي والتطفل المعنوي يعد آفة من آفات النفس البشرية ويعني حب معرفة أسرار غيره وتتبع خصوصياته سواء عن طريق السمع أو التنصت أو الكلام والتحدث أو حتى عن طريق القراءة أو الكتابة بأسلوب مباشر أو غير مباشر والتطفل بهذا الوصف صفة سيئة وسلوك خاطئ وخلق ذميم غير مرغوب فيه سواء من الناحية الدينية أم الاجتماعية وهو في الواقع آفة قبيحة توقع الحرج للناس وتتسبب في مضايقتهم وجلب القلق والإزعاج لهم! وينبغي على الناس أن يحترموا خصوصيات الآخرين وأسرارهم حتى في محيط الأسرة والعائلة فليس من حق الزوج أو الزوجة أن يعبث أحدهما في جيوب الطرف الآخر أو أدراجه أو أوراقه وليس من حق أحد أن يستمع حديثًا ليس له أن يسمعه وليس من حقه أن يرى خفية ما لا يجوز له رؤيته فكل هذا لون من ألوان »التطفل على الآخرين لا يليق بالمسلم صاحب الخلق الرفيع أن يفعله!

ومن العجيب أن المتطفل لا يكتفي بمعرفة أسرار الشخص الذي أمامه فقط وإنما يستدرجه ويجتهد في معرفة أسرار غيره ! حيث إنه لا يسأل الشخص عن نفسه فقط وإنما يسأله عن الآخرين كذلك!

ماذا قلت لهم وماذا قالوا لك ؟ وماذا فعلوا ؟ وما شعورهم في الموقف الفلاني ؟ وكيف كان تصرفهم ؟ وما رأيهم ؟وما علاقتهم بك ؟ وماذا عن عائلتهم وأصدقائهم وباقي خصوصياتهم !

فالتطفل اضطراب عصبي خطير على المجتمع لأن صاحبه لا ينقطع عن الواقع المحيط به بخلاف بقية الاضطرابات النفسية الأخرى، فهو يخالط الناس ويتأذون منه ويسبب لهم المتاعب ولا يتأثر بانتقادهم له وعدم الرغبة فيه.

النـفـس إن لـم تشغلهـا بالطاعة شغلتك بالمعصية

● **وتقول في هذا الموضوع الأستاذة صفاء محمد خليل أستاذة الإعلام بجامعة الرباط الوطني :**

إن اهتمام المرء وانشغاله بما يعنيه فيه فوائد عظيمة فالنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، ومن اشتغل بالناس نسي أمر نفسه وأوشك اشتغاله بالناس أن يوقعه في إعراضهم بالقيل والقال،كما أن انشغال المرء بنفسه وبما يعنيه فيه حفظ للوقت وإشاعة لروح الجدية.

● **وفي السياق ذاته اضافت الأستاذة امل محمد احمد «شؤون الطالبات»**

إن الدنيا كلها مزرعة للآخرة وعمر الدنيا قصير فهو كظل شجرة يوشك أن يذهب سريعًا، لذا فالإنسان العاقل فقط يغتنم أوقاته كلها فالآخرة همه والجنة مأربه، وقد أحسن الشاعر إذ يقول:

اغتنم ركعتين في ظل الليل
إذ كنت فارغًا مستريحا
وإذا ما هممت بالخوض في
الباطل فاجعل مكانه التسبيحا

وتضيف الحاجة عائشة علي كريم الدين –ربة منزل– إن الله سبحانه قد امتدح عباده المؤمنين بقوله:(وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)المؤمنون٣ ، فمن صان لسانَه عنَ فضول القول سلم من انزلاقه فيما لا يحبه الله ويرضاه وحمى منطقه من الغيبة والنميمة.

● **أما الدكتور أسامة احمد حسن – مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية – يقول :**

لا شك أن هذه الظاهرة متوارثة منذ فجر التأريخ الإنساني ولها جذور ضاربة منذ القدم وتتجلى تلك الظاهرة بوضوح في المجتمع الجاهلي لذلك أرسل الله الرسل أجمعين لصلاح الحياة وإصلاحها،يقول الله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)الحجرات١٢ وفي الحديث الشريف (ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذي) وكذلك نجد الشعراء والشعر الإسلامي تناول هذه الظاهرة بوضوح فمثلاً الإمام الشافعي رحمه الله قال:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ
فكلك عورات وللناس السن
وعينك إن أبدت إليك معايبًا
فدعها وقل يا عين للناس اعين

وأضاف الدكتور أسامة أن العلم الحديث أظهر هذه العادة السيئة فوصفها بالاتصال الضعيف الذي يحدث خاصة في مجتمع المؤسسات وحدد بمصطلح الاتصال غير الرسمي غير الإيجابي بل هو سلبي وأعتقد أن من يخوضون في هذا الأمر يعانون من مرض نفسي يريدون بتناولهم خصوصيات الآخرين تحطيمهم وتدميرهم ليكونوا من مستواهم أو دونهم، ولا علاج لهؤلاء المرضى إلا بدواء الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم والتوبة والاستغفار وطلب العفو من الآخرين الذين تناولهم بلسانه وإن لم يلتزم هؤلاء الناس بأوامر الله تعالى والحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فسيجنون ثمار متمثلة في نار حسد تلتهم كل حسناتهم وتصبح لهم علامات مميزة يعرفهم بها جميع الناس لذلك هم مكشوفون وإن تغطوا بغطاء الابتسامة فهم كالثعالب، وأخيرًا أوصي المتضررين من أمثال هؤلاء بالصبر»ولنبلونكم» وسوف يكون الصبر حليف من صبر على الابتلاء.

المتطفل مريض نفسي فحواسه دائمًا غير هادئة ونظراته متحفزة وغير مستقرة وغير محتشمة

● **وتقول الدكتورة جدة الصادق محمد كوكو « الوحدة الصحية بمركز الطالبات:**

إذا كان الشخص موزعًا زمنه على واجباته فهذا يغنيه عن التدخل فيما لا يعنيه الناتج أساسًا من الفراغ أو عدم الاهتمام بالواجبات الأساسية، وفي رأيي أن الذي يتدخل فيما لا يعنيه بسوء يكون منبوزًا اجتماعيًا.

● **وتتفق كل من جميلة عبد الله حسن، وفاطمة عبد الله عمر كلية القرآن الكريم:**

في الرأي في أن ظاهرة الفضول أصبحت ظاهرة عالمية، كتدخل الدول بعضها في شؤون بعضها الآخر في أمورها الداخلية، وتضيفان أن من المؤسف حقًا أن المجتمع المسلم يتعامل بهذه الظاهرة وهي سلوك غير حضاري فلها آثار سالبة على المجتمع أهمها ضياع الوقت في شيء غير مهم قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) المائدة١٠١ والرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه قد حث على عدم التدخل في شؤون الآخرين حماية لسلوكنا في معاملاتنا مع الآخرين وحفاظًا عليهم من الإحراج وفي ذلك احترامًا لأنفسنا والسنتنا واهتداء بسنة نبينا.

الظاهرة متوارثة منذ فجر التأريخ الإنساني وتتجلى بـــوضـــوح في المجتمع الجاهلي

● **وتحدث الدكتور احمد كمال الدين حسين- داعية إسلامي- عن هذا الموضوع فقال:**

كثير من عباد الله في هذا الزمان يتدرجون على مناحي الحياة ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ما الذي يدور في هذه الدنيا؟ لمَ يحب بعض الناس أن يتدخلوا فيما لا يعنيهم، سأل ابنَ أم مكتوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف ذلك إن شاء ربي فقال رسول الله ثلى الله عليه وسلم إن أهل الدنيا أناس تسوقهم الدنيا يؤتى بهم يوم القيامة فقال الله ، هؤلاء غضبت عليهم ولا أرضى عنهم إذا كانوا تركوا فتنة الدنيا بلحاق عورات الناس في الدنيا، فأساله أن يرحمنا بذلك.

أما الدكتورة أم سلمة كبرو محمد فتقول: تدخل فيما يعنيك تسمع ما يرضيك، والعكس تمامًا عند الدخول فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك، فمن ناحية اجتماعية يكون الشخص منبوذًا اجتماعيًا، ليس له رأي ولا كلمة ولا وزن ولا أهمية يرفضه المجتمع تمامًا.

● **ويقول نادر يحيى :**

يمكن اعتبار الحشرية والفضول الزائد عن حده نوعًا من الاضطرابات السلوكية التي تؤثر في العلاقات بين الناس بشكل عام، وأضاف يمكن أن يكون سبب الفضول مرور الشخص الحشري بأزمة نفسية نتيجة ظروف حيوية طارئة، أو أن يكون لديه الكثير من أوقات الفراغ التي يجب أن يملأها بنشاط جسدي أو ذهني، وصفة الحشرية قد تكون قديمة ومتأصلة في الشخصية أي أنها بدأت منذ الطفولة واستمرت معه لأنه لم يجد من ينبهه إلى هذا السلوك.

● **وتقول عبير ميرغني – اساتذة جامعية :**

إن الشخصية الحشرية في الغالب مصابة بنوع من النقص أو بعقدة ما، فيحاول المريض أي المصاب أن يتلافى هذا النقص أو يستره بلفت الانتباه بالتدخل فيما لا يخصه وقديمًا قيل لا تتدخل فيما لا يعنيك فتسمع ما لا يرضيك، ومن راقب الناس مات همًا وغيرها من الأقوال التي تذم هذه العادة من الناحية نفسية أما من الناحية الاجتماعية فالشخصية الحشرية غير مرغوب فيها فعند ظهورها في أي مكان يحاول الناس تجنبها والابتعاد عنها ولا يرغب أحد بالتحدث أمامها بأي موضوع لأنها تحاول الإدلاء بآراء ليست مطلوبة منها وتسترسل في الموضوع لدرجة الملل، فالتحرش مذموم ومرفوض فقد وردت كثير من الآيات والأحاديث التي تهذب النفس البشرية وتحسها على مكارم الأخلاق منها «عليكم أنفسكم» والعديد من الآيات تحث على الابتعاد على هذه العادة.

● **أما محمد الأمين صلاح الدين من جامعة السودان فقد بدأ حديثه عن الشخصية الحشرية قائلاً:**

إنها شخصية تسبب الإزعاج لكثير من الناس وتجعلهم يملون الجلوس في أماكن وجودهم ومغادرة المكان حال حضورهم ويصعب التعامل مع الشخصية الحشرية، وصاحب الشخصية الحشرية يحرص على معرفة كل شيء في محيط المكان الذي هو فيه، وهو الشخص الذي يرهقك بالأسئلة عن أمورك الخاصة أو أمور لا تعود عليه بالفائدة والتدخل فيما لا يعنيه.

● **وابتدر عادل جعفر من جامعة السودان حديثة بقوله:**

عادة التحشر ضد الأخلاقيات ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول:»إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»إذًا التحشر مذموم ومرفوض، فمثلاً قد يركب معك في سيارتك ثم يفتح الدرج الذي أمامه وينظر ما بداخله، أو يتناول هاتفك الجوال بدون استئذان ويقرأ الرسائل التي فيه، وأحسن الأساليب للتعامل مع الحشريين هو إجابة السؤال بسؤال،أو الانتقال إلى موضوع آخر لينسى سؤاله الأول، فلو سألك مثلاً كم مرتبك الشهري؟ قل له بلطف وتبسم: لماذا هل وجدت لي وظيفة مغرية ، هكذا وينسى الحشري سؤاله الأول(ما رأيك ألم تخرج من الموقف بذكاء) وكذلك لو سألك إلى أين ستسافر .

● **وفي السياق ذاته قال الأستاذ احمد محمد موسى بكلية القرآن الكريم :**

إن التدخل فيما لا يعنيك دلالة على عدم حسن إسلامك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فيما أخرجه الترمذي وابن ماجة» من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»

وما لا يعني الإنسان أي ما لا يهمه من أمر الدين والدنيا من الأفعال والأقوال، وقد أورد النووي رحمة الله عليه عند شرحه لحديث «من حسن إسلام المرء» أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن صحف إبراهيم قال كانت أمثالاً وفيها:»على العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله ألا يكون ظاعنًا إلا في ثلاث تزود لمعاد ومؤمنة لمعاش، وندة في غير محرم وكان فيها:»على العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن يكون بصيرًا لزمانه مقبلاً على شأنه حافظًا للسانه، يوشك أن يقل الكلام إلاّ فيما يعنيه .

وذكر مالك أنه بلغه أنه قيل للقمان ما بلغ بك ما نرى؟ يريدون الفضل فقال:(صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني) وروي عن الحسن قال: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه، فينبغي للإنسان أن يدع ما لا يعنيه في أمور دينه أو دنياه لأنه أحفظ لوقته وأسلم لدينه وأيسر لتقصيره، ولو تدخل في أمور الناس التي لا تعنيه لتعب وأتعب، ولكنه إذا أعرض عنها ولم يشتغل إلا بما يعنيه صار ذلك طمأنينة وراحة له وكمالاً لدينه لأن الإحسان أعلى مراتب الدين فمن ترك ما لا يعنيه فقد حسن إسلامه.

أسأل الله أن يعصمنا والمسلمين من الخطأ والذلل وأن يجعل ألسنتنا رطبة بذكره إنه ولي ذلك والقادر عليه.